﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ [الأحزاب: 63]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التّهديدُ بعذابِ الدّارَين استصحابًا ودفعًا لسُخريةِ المنافِقين

بعدَ أن ذكرَ النّظمُ الجليلُ حالَ الفئات الثّلاثِ منَ المنافقين والمُرجفين والذين في قلوبهم مرضٌ، مهدّدًا إيّاهم بالعذاب في الدّنيا، أتبعَ ذلك بما يبيّنُ حالَهم في الآخرة، فذكّرَهم بيوم القيامة، وبيّنَ ما يكونُ لهم فيه[1]، ومنَ المناسبة أنّهم لمّا كان من شأنهم أنّهم يخوضون في أمر الآخرة ساخِرين منها، كما يخوضُ المؤمنون فيها خوفًا منها، أتبع ذلك بذكر السّؤال عنها[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾: أصْلُ (سوع) يَدُلُّ على اسْتِمرارِ الشَّيْءِ ومُضيِّهِ، مِنْ ذلكَ السّاعَةُ سُمّيَتْ بذلكَ، يُقالُ: جاءَنا بَعْدَ سَوْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وسواعٍ؛ أيْ: بَعْدَ هَدْءٍ مِنْهُ[3]، والسّاعَةُ: الوقتُ الحاضرُ، وهي في الأصْلِ تُطْلَق بمعْنَيَيْن: أحدُهما: أنْ تكونَ عِبارَةً عَنْ جُزءٍ مِنْ أربعةٍ وعِشْرينَ جُزءًا هي مجموعُ اليَوْمِ واللَّيْلَةِ، والآخرُ: أنْ تَكونَ عبارةً عَنْ جُزءٍ قَليلٍ مِنَ النَّهارِ أوِ اللَّيْلِ، يُقالُ: جلستُ عِنْدَكَ ساعَةً مِنَ النَّهارِ؛ أيْ: وقْتًا قليلًا منه، ثُمَّ استُعير لاسْم يَوْم القيامَة[4]، قيل: سُمّيَت بذلكَ لأنَّها تَفجأُ النّاس في ساعَةٍ، فيَموتُ الخَلْقُ كلُّهُم عِنْد الصَّيْحَة الأولى[5]، والمُرادُ بها في الآية: يومُ القيامة، ووقتُ قيامِها[6].

(1) المراغي، تفسير المراغي: 22/ 40.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 22/ 112.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوع).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (سوع).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سوع).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 329 - 330.

2) ﴿يُدۡرِيكَ﴾: (درى) أصلُه قَصْدُ الشَّيْءِ واعْتِمادُهُ طَلَبًا، وهو العِلْمُ، والدَّرِيَّةُ: الدّابَّةُ الَّتي يَسْتَتِرُ بها الَّذي يَرْمي الصَّيْدَ ليَصيدَهُ، ودَرَيْتُ الظَّبْيَ: خَتَلْتُهُ، أي: احْتَلْتُ لَهُ حَتَّى أصيدَه[1]، ومنه الدّراية: وهي المعرفةُ المُدركةُ والعلمُ بضرب منَ الحيل[2]، فالمعنى المحوريُّ لهذا الجذر: تغلغلُ الشّيء بدقّة وقوّة خلال جرم كثيفٍ فيَصلُ إلى عمقه، فالدّراية: عِلْمٌ فيه نفاذٌ إلى ما خَفيَ، والنّفاذُ إلى ما وراء الظّاهر. ﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾ [الأنبياء: 109]، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٣﴾ [الحاقة: 3]، وورد التّركيبُ بهذا المعنى في كلّ القرآن مسبوقًا دائمًا بنفيٍ أو استفهامٍ لتعلُّقِ الفعلِ بغيبيٍّ أو مجهولٍ أو شيءٍ يعظمُ عن أن يحيطَ الإنسانُ به، ومن أجل قيدِ كونِ العلمِ فيها مسبوقًا بخفاء فهي لا تُسندُ إلى الله ﷻ؛ لأنّه تعالى لا يخفى عليه شيءٌ، ولا يحتاجُ إلى احتيال[3]، والمرادُ به في الآية الكريمة الإعلامُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

خـوضُ الـنّـاسِ الـدّائـمُ في شأن الآخرةِ وميقاتِه

يخبرُ النّظمُ الكريمُ عن سؤال النّاس الدّائم عن يوم القيامة، فيقولُ جلّ شأنُه: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ يا محمّد ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ متى هي قائمةٌ؟ قل لهم: إنّما علمُها ﴿عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ لا يعلمُ وقتَ قيامها غيرُه، وما أشْعرَك يا محمّد لعلّ قيامَ السّاعة يكون منك قريبًا، فقد قرب وقتُ قيامِها، ودنا أوانُ مجيئها[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علّةُ فصلِ الآية عما قبلها:

تمـهـيـدُ الـكـلامِ لبيان ما أعدَّ الله تعالى للكافرين في الآخرة

فصلَ النّظمُ الجليلُ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (درى).
(2) الرّاغب، المفردات: (درى).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (درى).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 329 - 330.

ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ لأنّها مستأنفةٌ، سيقت للاعتراض بين الجملة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠﴾ [الأحزاب: 60]، والجملةِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وفائدةُ هذا الاعتراض التّمهيدُ لجملة لعنِ الكافرين[1].

دلالةُ التّعبيرِ بالسّؤالِ مادّةً وصيغةً:

إحالةُ ميقاتِ القيامةِ على الله لدرءِ كثرةِ السّؤال عنها امتحانًا أوِ استهزاءً

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بلفظ السّؤالِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ لبيان أنّ السّائلين طلبوا معرفةَ زمانِ حلولِ يوم القيامة؛ لأنّ السّؤال هو استدعاءُ معرفةٍ، أو ما يؤدّي إلى المعرفة، ويكون جوابُه على اللّسان[2]، وجاء التّعبيرُ عن ذلك بالفعل المضارع للدّلالة على تجدُّد السّؤال وتَكرارِه، فكان المشركون يسألون النّبيَّ ﷺ عن موعد يوم القيامة استعجالًا بطريق الاستهزاءِ والتّعنّتِ والإنكارِ، وكان اليهودُ يسألونه عنها امتحانًا له ﷺ؛ لأنّ الله تعالى أخفى وقتَها عن كلّ أحدٍ[3].

معنَى (أل) في ﴿ٱلنَّاسُ﴾:

عِظمُ حدثِ القيامةِ دافعٌ للسّؤال عن موعدِها

عرّفَ النّظمُ الجليلُ النّاسَ بالألف واللّام في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ وهو هنا دالٌّ على تعريف الجنسِ، فلفظُ النّاسِ عامٌّ يشملُ النّاسَ جميعًا، وعمومُه هنا عرفيٌّ، فهو لا يستغرقُ النّاسَ فردًا فردًا، بلِ المرادُ جميعُ النّاس الذين من شأنهم الاشتغالُ بالسّؤال عنها؛ وذلك لأنّ كثيرًا منَ النّاسِ يسألُ عن ذلك[4].

نكتةُ التّعبيرِ بـ﴿ٱلنَّاسُ﴾ دون غيرها:

تعدّدُ أصنافِ السّائلين عن يوم القيامة

آثر النّظمُ الكريمُ التّعبير بلفظِ النّاس دونَ غيره في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ ليشملَ جميعَ أنواعِ السّائلين،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 112.
(2) الراغب، المفردات: (سأل).
(3) إسماعيل حقّي، روح البيان: 7/ 243.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 113.

والسّائلون أقسامٌ فمنهم: المُكذِّبون بها وهم أكثرُ السّائلين وسؤالُهم للتّهكّم للاستدلال بإبطائها على عدم وجودها، وصنفٌ مؤمنون بها لكنّهم يسألون عن أحوالها وأهوالها، وصنفٌ يسأل اختبارًا للنّبيّ ﷺ لعلّه يجيبُ بما يخالفُ ما في علمهم فيجعلونه حجّةً على انتفاء نبوءته، وهؤلاء همُ اليهود[1]، وقد ذهب البقاعيُّ إلى أنّ المُرادَ بالنّاس هنا المشركون؛ وإنّما عبّر عنهم بلفظ النّاس "إشارةً إلى أنّهم بُعدٌ في نَوْسِهم لم يصلوا إلى أدنى أسنانِ أهل الإيمان، فكان المتردّدون في آرائهم لا يكادون ينفكّون عنِ النَّوْسِ وهو الاضطرابُ"[2]، والتّذبذبُ في الشّيء[3].

معنَى ﴿عَنِ﴾ في القيد ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾:

معرفةُ موعدِ القيامِ المُضمر الذي يشغلُ الأنامَ

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ ﴿عَنِ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ وهو حرفٌ دالٌّ على المجاوزة، فالسّؤالُ مقصودٌ به وقتُ قيامِ السّاعة، أي عن وقت قيامِها[4]، فالحرف ﴿عَنِ﴾ يبيّنُ المسؤولَ عنه، وهو هنا وقتُ السّاعة، وموعدُها.

دلالةُ التّعبيرِ بـ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾:

قُربُ موعدِ البعثِ دافعٌ لتحرّي العملِ الصّالحِ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ عن يوم القيامة بلفظ السّاعةِ دونَ سواه في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾، وإنّما السّاعةُ هي جزءٌ منَ الزّمان يقيس به النّاسُ مقدارًا منَ الوقت، فأطلقَ تعالى لفظَ السّاعة على يوم القيامة تشبيهًا بقلّة زمانِ السّاعة وسرعةِ حسابه[5]، وعرّفها بالألف واللّام؛ للدّلالة على أنّها هي السّاعةُ التي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 112 - 113.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 415.
(3) الخليل، العين: (نوس).
(4) إسماعيل حقّي، روح البيان: 7/ 243.
(5) إسماعيل حقّي، روح البيان: 7/ 243، والشّعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 12190.

لا ساعةَ في الحقيقة غيرها[1]، إيقاظًا للنّاس ولفتًا لنظرِهم إلى سرعة مجيءِ هذا اليوم، وما يقتضيه ذلك منهم من أداء الأعمال الصّالحةِ والبِدارِ فيها.

علّةُ فصلِ جملةِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾:

ردُّ الجوابِ عنِ السّؤالِ حوارٌ أغنَى عنِ العاطف في وصل الكلام

فصَلَ النّظمُ الجليلُ في قوله جلّ شأنُه: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّها مستأنفةٌ مُساقةٌ للرّدّ على سؤالهم، أي قل لهم ذلك جوابًا لهم[2]، فكأنّها في محاورة؛ فالسّؤالُ يدلّ على القول ضمنًا، فلمّا سألوا ردّ على سؤالهم بذلك، فلم يَحتجْ إلى العطف لقيام المحاورة بوصل الكلام وربْطِه.

دلالةُ التّعبيرِ بفعلِ القولِ:

وظيفةُ الأنبياءِ التّبليغُ عنِ الله تعالى

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بفعل القول فعلَ أمرٍ في قوله جلّ شأنُه: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ للدّلالة على أنّ القول والجوابَ جاء عن طريق التّبليغ، بصيغة الوجوب، وليس صادرًا منَ النّبيّ ﷺ، فإنّما هو مُبَلِّغٌ عنِ الله تعالى، والله ﷻ هو الذي يقول، فقال: قل، والمقولُ صادرٌ منَ الله تعالى، وأنّا أقوله لكم[3]، فلو قال: (إنّما علمها عند الله) بلا فعْلِ القول؛ فسيُفهمُ أنّ هذا الجوابَ منَ النّبيّ ﷺ، وفي لفظ القول إشارةٌ إلى التّصريح بالمقولِ والجهرِ به.

بلاغةُ القصرِ في جملة ﴿إِنَّمَا﴾:

السّاعةُ غيبٌ تفرّدَ الخالقُ بميقاتِه ولم يُطلعْ عليه فردًا

قصرَ النّظمُ الجليلُ معرفةَ وقتِ يومِ القيامة على الله تعالى في قوله جلّ شأنُه: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ للدّلالةِ على أنّ الله تعالى استأثرَ بعلمِ ذلك، ولم يُخبر به أحدًا منَ الأنبياءِ الكرام، أوِ الملائكةِ المقرَّبين[4]، وهو قصرُ صفةٍ على موصوفٍ، فقصَرَ صفةَ العلم بيوم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 416.
(2) الخطيب، السّراج المنير: 3/ 272.
(3) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 12188.
(4) القنّوجي، فتح البيان: 11/ 148.

القيامة على الله تعالى، وهو قصرٌ حقيقيٌّ؛ لأنّ العلم بالسّاعة محصورٌ عليه تعالى لا بالنّسبة إلى أحدٍ آخرَ، بل على وجه الحقيقة.

دلالةُ التّعبيرِ بـ(العِلم) دونَ (الوقت):

العلمُ بموعدِ السّاعةِ مختصٌّ بالله تعالى

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بالعلم دونَ الوقت في قوله جلّ شأنُه: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّ المسؤولَ عنه ليس الوقتَ، بل العلمُ بالوقت، فلم يطلبوا منه وقتًا بل العلمَ بالوقت، والسّؤال يدلُّ على طلب المعرفة والعلم بالمسؤول عنه، فكان الجوابُ بأنّ العلم بذلك محصورٌ عند الله تعالى.

دلالةُ التّعبيرِ بالظّرفِ ﴿عِندَ﴾:

قيامُ السّاعةِ في حيّزِ علمِ اللهِ الذي لا يملكه سواه

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بالظّرفِ ﴿عِندَ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ للدّلالةِ على أنّ العلمَ بذلك هو في حكم الله تعالى وفي حيّزِ علمِه تعالى لا يملكه أحدٌ سواه، كما في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد: 43]، أي: في حكمه[1]، فهو دالٌّ على ملك الله تعالى لذلك العلم، وإضافةُ الظّرف إلى لفظ الجلالة للدّلالةِ على تعظيم علمِه، فهو تعالى الذي أحاط علمُه بكلّ شيء، ووسعَ كلَّ شيء علمًا، ولا يعلم أحدٌ شيئًا ممّا عنده إلّا بإذنه تعالى[2].

معنَى (الواو) في جملة ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾:

انتفاءُ العلمِ بموعدِ السّاعةِ لا يَنفي قربَها

افتتح النّظمُ الجليلُ الجملةَ بالواو في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ وهي هنا دالّةٌ على الاستئناف[3]، فالجملةُ مستأنَفةٌ مستقلّةٌ سيقتْ "لبيانِ أنَّها مع كونِها غيرَ معلومةٍ للخلقِ مرجوَّةُ المجيءِ عن قريبٍ"[4].

(1) الرّاغب، المفردات: (عند).
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 416.
(3) الدّرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 7/ 539.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 116.

معنَى (ما) في قوله: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾:

موعدُ السّاعةِ شديدُ الخفاءِ عظيمُ البلاءِ

عبّرَ النّظمُ الجليلُ باسم الاستفهام (ما) في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ للدّلالةِ على الإنكار[1]، أي: أيُّ شيء يُدريك متى السّاعةُ، قد تكون بعيدةً أو قريبة[2]، وفائدةُ الاستفهام الدّالِّ على الإنكار والنّفي الإشارةُ إلى شدّة خفائِها، حتّى إنّه قد أخفاها عن أكمل الخلقِ ﷺ، لِما في ذلك الإخفاء منَ التّهديد برجاء قُربِ وقتِها[3].

دلالةُ التّعبيرِ بفعلِ الدّرايةِ مضارعًا:

تيئيسُ السّائلين بمعرفة ميعادِ يومِ القيامة

عبّرَ النّظمُ البليغُ بلفظ الدّراية في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾؛ لأنّه يُطلقُ على المعرفة التي تُدرَك بضربٍ منَ الحيل[4]، وهذا أنسبُ للتّعبير عنِ الجهل بمعرفة ميعادِ يومِ القيامة، أي: ليس هناك طريقةٌ للعلم بوقت السّاعة وإن كانت عن طريق الاجتهاد والاحتيال، فلا سبيلَ لبلوغ ذلك، والتّعبيرُ بالفعل المضارع يدلّ على استمرارِ انتفاءِ تلك الدّراية، وقد دأبَ القرآنُ الكريم على التّعبير بالفعل ﴿يُدۡرِيكَ﴾ في سياق الأمر أوِ الاستفهام الّذي لن يُعلَم به حتّى يومِ القيامة، وأمّا الفعلُ الماضي (أدراك) فقد دأبَ القرآنُ على استعماله في سياق الأمر أوِ الاستفهامِ الّذي سيظهرُ علمُه عن قريب[5]، فالعلمُ بميعاد السّاعةِ لن يظهر حتّى يحين يومُ القيامة؛ فعبّر بالفعل المضارع عن ذلك.

عودُ الضّمير في الفعل ﴿يُدۡرِيكَ﴾:

خطابُ النّبيّ بنفي علمِه موعدَ السّاعةِ أمارةُ شدّةِ خفائِها

خاطب النّظمُ الجليلُ النّبيَّ ﷺ بكاف الخطاب في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، فهو خطابٌ يَنفي

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 50.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 113.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 416.
(4) الراغب، المفردات: (درى).
(5) محمد الهلال، تفسير القرآن النّري الجامع: 22/ 33.

عنِ النّبيّ ﷺ الدّرايةَ عن ميقات يومِ القيامة، أي: أيُّ شيءٍ يجعلُ لك درايةً[1]، ونفيُ العلم عنِ النّبيّ ﷺ عن ميقاتها يدلُّ على شدّة خفائها؛ فإنّه تعالى إذ لم يُطلعْ عليها أقربَ الخلق إليه فأنّى سيخبرُ السّائلين عنها من سائر الخلق؟ وإذا كانت محجوبةً عنه ﷺ لا يعلم وقتَها، وهو رسولُ اللّه، فكيف بغيره من النّاسِ[2]؟

علّةُ فصلِ جملةِ ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾:

فصلَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾؛ لأنّها مستأنَفةٌ سيقت لإنشاء الرّجاء[3]، وذلك لِما بين الجُملتَيْن من كمال الانقطاع، فالجملةُ السّابقةُ إنشائيّةٌ في معنى الخبر، وهذه جملةٌ إنشائيّةٌ، فوقع بينهما كمالُ انقطاعٍ، فبعد أن نفى عنِ النّبيّ ﷺ معرفةَ يومِ القيامة ألحقه ببيانِ أنّ وقت السّاعة قد يكون قريبًا.

إنشاءُ الرّجاءِ ببيانِ ميقاتِ السّاعةِ بعد الانقطاع

معنَى ﴿لَعَلَّ﴾:

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بحرف الرّجاء ﴿لَعَلَّ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ للدّلالةِ على أنّ يوم القيامة "بحيث يرجو قُربَها من يرجوه ويخشاه من يخشاه، فهل أعدَّ مَن يخشاها شيئًا للمدافعة إذا جاءت، أوِ النّجاةِ منها إذا أقبلت؟"[4].

مَنْ أحبَّ لقاءَ اللهِ تعالى يَرجو قربَ يومِ القيامةِ

نكتةُ تَكرارِ لفظِ ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾:

وضع النّظمُ الكريمُ الاسمَ الظّاهرَ موضعَ المُضمرِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، فلم يقل: (لعلّها)؛ فأظهرَ لفظَ السّاعة مع كونِها قد سبقَ ذِكْرُها؛ تهويلًا لشأنها،

شأنُ السّاعةِ مهولٌ، ووقْعُها عظيمٌ، ووقوعُها مؤكّدٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 113.
(2) الشّوكاني، فتح القدير: 4/ 351.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 113.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 416.

وزيادةً في تقريرها، فإنّ عدم الإظهارِ يدلُّ على استقلال الجملة فيكونُ المعنى قائمًا بنفسه تأكيدًا لمضمونه وتقويةً له[1].

دلالةُ التّعبيرِ عن خبر ﴿لَعَلَّ﴾ بفعلِ الكونِ مضارعًا:

إيـرادُ مـا يـدلُّ على المبالغة في حدوث السّاعة

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بفعل الكونِ في الإخبار عن رجاء قربِ السّاعة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ للدّلالةِ على الوجود والحدوثِ على وجهٍ بالغِ الهولِ والعجب[2].

سرُّ الإشارةِ إلى القُربِ وتذكيرِه:

زمـانُ السّاعـة قـريـبٌ وشيكٌ، والمـسـؤولُ عنه وقتُها

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بلفظ القُربِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ للدّلالةِ على قرب زمانِ السّاعة؛ فإنّ القُربَ يُستعملُ في المكان، وفي الزّمان[3]، فهو تعبيرٌ عن قلّة الزّمان بين وقت الخطابِ وبين وقتِ قيامها، وجاء التّعبيرُ عنه بصيغة التّذكير مع أنّ لفظ السّاعة مؤنّثٌ، فلم يقل: (لعلّ السّاعة تكون قريبةً)؛ وذلك لأنّ ﴿قَرِيبًا﴾ هنا صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ، وتقديرُه: وما يدريك لعل زمان قيامها قريب، أوِ التّقديرُ لعلّ السّاعةَ تكون شيئًا قريبًا[4]، وإنّما كان السّؤالُ عن وقتها، فكان التّذكيرُ إشارةً إلى المسؤول عنه وهو الوقتُ[5].

بلاغةُ التّعريضِ في بيان قُربِ السّاعة:

الفَطنُ يَستشعرُ قـربَ السّاعـة ويُديمُ الحَذَر

عرّض النّظمُ الجليلُ بقوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ تهديدًا للمُستعجِلين بهذا اليوم، والمُنكرين له، فهو وعيدٌ للسّامعين بقرب وقتِها، فهي ينبغي أن تُحذَرَ[6]، فسوقُ الحديث عنها بما لا يفصحُ عن موعدها مع الإشارة إلى رجاء قرب وقتِها

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 116.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 416.
(3) الرّاغب، المفردات: (قرب).
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 483، والشّعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 12191.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 15/ 416.
(6) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 400.

يُدخلُ في نفس السّامعين الهلعَ والخوفَ من سرعة حلولِها، فيبدرُ منهمُ الاتعاظُ والارعواءُ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

السّاعة والقيامة:

السّاعةُ والقيامةُ اسمان ليوم القيامة، وسُمّيت بالقيامة؛ لأنّ النّاس يقومون في ذلك اليوم لربّ العالمين ﷻ لحسابهم، فيقومون منَ الموت[1]، والسّاعةُ اسمٌ ليوم القيامة، والسّاعةُ في الأصل: القطعةُ منَ الزّمان، وعبّر به عنِ القيامة وإن كانت متطاولةَ الأزمنة تنبيهًا على سرعة الحساب، وإنّه تعالى لا يفوته شيءٌ من أعمال خلقه من صالحٍ وسيّءٍ، فهو يجازي الفريقَيْن في أسرع زمان في ظنّكم[2]، فسُمّيت بذلك لقرب حلولِها ومجيئِها، وفيها دلالةٌ على حتميّة المجيءِ كما أنّ الزّمان لا محالةَ كائنٌ وآتٍ[3]، وإنّما آثر اسمَ السّاعة في هذا الموضع؛ لأنّ السّياق يتحدّثُ عن قربها، فناسب إطلاق لفظ السّاعة المُشعرِ بقِصَرِ الزّمان.

القيامةُ يقوم فيها النّاسُ للحساب، والسّاعةُ تعبيرٌ عن قرب زمانِ حلولِها

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 5/ 305.
(2) السّمين، عمدة الحفاظ: (سوع).
(3) السّمعاني، تفسير السّمعاني: 5/ 318.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»